شهادة

هند أبو الشعر: الأكاديمية، والمؤرخة

د. أنس العموش *

انتمت الدكتورة هند أبو الشعر إلى البيئة الأردنية، بكل أقاليمها؛ فهي ولدت في الشمال، وتلقت تعليمها للثانوية به، ثم تلقت تعليمها الجامعي في الجامعة الأردنية أم الجامعات، وبعدها أخذت تدرس وتؤرخ الأردن من شماله إلى جنوبه مروراً بالوسط، وأخذت ترصد وتدون، بعد العناء والتقصي والتبحر في الروايات والسجلات؛ لتخرج برواية رصينة وقراءة واعية وموضوعية، ومن ثم العروج إلى مناهج البحث العلمي للتدوين وتأليف نتاج هذا كله.

وعلى كل دارس للتاريخ ومختص به، الإفادة من نتاجها العلمي والمعرفي، ومن رؤيتها ومنهجها الرصين المتين، فهي من المؤرخين الأوائل الذين تصدوا لتاريخ منطقة شرقي الأردن، وكانت لها الريادة في دراسة وتقصي بعض المناطق به، فأول معرفتي بالدكتورة هند في مرحلة البكالوريوس في جامعة آل البيت؛ إذ وجدت نفسي أمام مؤرخة تعيد بلورة

* معلم في مدرسة الأبرار الأساسية النموذجية للبنين/ جامعة آل البيت، ومحاضر غير متفرغ في الجامعة الأردنية.

التاريخ؛ للوصول إلى النتائج الصحيحة والمدعمة بالقرائن والبراهين، وكانت تسلك طريقًا خاصًّا لبلوغ المعارف والحقائق، بعد المطالعة والبحث والتقصي والتحليل، وبعده العرض والتقديم. وفي مرحلة الماجستير أخذت في التنقيح والتحليل للوصول إلى الكيفيات والمسببات، وارتباطها بالواقع المدروس.

ويستقي الباحث في نتاجها الأكاديمي الضوابط الأخلاقية في مجال البحث العلمي من حيث الأمانة العلمية، والغاية المعرفية، والعلمية من البحث ذاته، كما أنها كانت المحاورة المصغية لطلبتها، والمقومة والناصحة المثلى.

وهذا ما جعلها حاضرة في الوسط العلمي والأكاديمي من مؤتمرات وملتقيات وندوات؛ ليتأثر بها الكثير من الدراسين والمختصين، وكان لإرثها العلمي الفضل، كونها مصدرًا مهمًّا للدارس من بعدها؛ حيث إنني أفدت من جهدها في الأبحاث المختصة في شرقي الأردن، كما شكلت لدي باعثًا للبحث في موضوعات أخرى.

والجدير بالذكر أن الدكتورة هند تُعدّ من المنتمين للمدرسة التاريخية التي تصدت لدراسة مصادر تاريخ الأردن في الحكم العثماني، والإفادة من المصادر المتاحة، ودراسة السجلات وترتيبها، وتحليل بياناتها، وجدولتها، وإحصائها، والتطرق إلى التقسيمات الإدارية، وعلى الرغم من ذلك إلا أنها لم تهمل المصادر المحلية لوصف العلاقات الاجتماعية، ورصد الملامح العامة والمتنوعة، بتنوع الحالات الاقتصادية والأحوال الإدارية آنذاك، وكتابها (إربد وجوارها) خير دليل على ذلك.

وهذه المدرسة شكلت انعطافًا في دراسة التاريخ الأردني المنهج؛ إذ عمد كثير من الباحثين، لاحقًا، إلى دراسة المناطق الأردنية والأرياف والأوضاع، وهذا ما نوهت به الدكتورة هند في كثير من المنتديات والمؤتمرات.

واتسم منهج الدكتورة هند أبو الشعر بالشمولي، والموضوعية؛ إذ إنها لم تعتمد على مصدر بعينه، بل تعرجت إلى المصادر الأخرى، وكأنها تقر بأن الحقائق والمعرفة لا تُستقى من طريق معرفي واحد؛ إذا نلحظ أنها عمدت، في دراسة التاريخ الأردني وتأريخه، إلى الأرشيف العثماني، والوثائق البريطانية، وأقوال المستشرقين ورحلاتهم ونتاجهم، والمصادر المحلية والروايات، ومن ثم دراستها وتحليلها، ومقارنتها، بُغية الفهم والمعرفة، والوصول إلى نتائج أكثر واقعية يمكن الوثوق بها وتدوينها.